# تفسير قصار السور: "الرحمن الرحيم"

# يوم الأربعاء 06/09/1441هـ لفضيلة الشيخ الدكتور : عبدالعزيز بن أحمد البداح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فهذا هو الدرس الخامس من شرح قصار السور في يوم الأربعاء السادس من شهر رمضان لعام ألفٍ وأربع مئة وواحدٍ وأربعين من الهجرة النبوية، وكنا توقفنا في الدرس السابق عند قوله عز وجل ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[الفاتحة:2]** ، وفي هذا اليوم نتكلم عن قوله سبحانه ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**[الفاتحة:3]**.

الرحمن والرحيم اسمان كريمان من أسماء الله تعالى يدلان على الرحمة، والله عز وجل موصوفٌ بالرحمة على ما يليق بجلاله وعظمته سبحانه، والرحمن أشد مبالغةً من الرحيم، وكلام ابن جرير في هذا الأمر يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا .

وقال ابن كثيرٍ بعد إيراده لكلام ابن جريرٍ رحمه الله : وفي تفسير بعض السلف ما يدل عليه أن الرحمن أشد مبالغةً من الرحيم .

وقيل بالعكس أن الرحيم أشد مبالغةً من الرحمن لأنه أُكِّد به، والمُؤكِد لا يكون إلا أقوى من المؤكَّد.

**الرحمن** اسمٌ خاصٌ بالله تعالى لم يُسم به غيره، ولما تسمى مسيلمة بهذا الاسم كساه الله عز وجل جلباب الكذب واشتهر به فلا يُقال إلا مسيلمة الكذاب، وقد حكى ابن العربي أن اسم الله الرحمن هو الاسم الأعظم.

أما اسم الرحيم فيسمى به غير الله تعالى، وقد قال الله تعالى عن نبيه عليه الصلاة والسلام ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[التوبة:128]** .

وقد اختلف أهل التفسير في الفرق بين الرحمن والرحيم .

فقيل أنه لا فرق بينهما .

وقيل بالفرق بينهما،

والمشهور في الفرق بينهما : أن الرحمن ذو الرحمة العامة فيشمل برحمته المؤمن والكافر والبر والفاجر وسائر المخلوقات وبقية الكائنات .

وأما الرحيم فهو خاصٌ بالمؤمنين في الآخرة، كما قال تعالى ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب : 43] .

واستظهر الشنقيطي رحمه الله في كتابه أضواء البيان هذا القول واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ \*عَلَّمَ الْقُرْآنَ\* خَلَقَ الإِنسَانَ\* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ\* الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ\* وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ\* وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ\* أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ\* وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ\* وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ\* فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ\* وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ\* فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[الرحمن:1- 13]، فدل هذا أن الرحمن ذو الرحمة العامة التي تشمل المخلوقات جميعًا،

أما اسم الله تعالى الرحيم فهو ليس خاصًا برحمة المؤمنين في الآخرة بل يشمل أيضًا رحمتهم في الدنيا كما قال عز وجل في سورة التوبة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**[التوبة:118]** .

وذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه "بدائع الفوائد" في الفرق بين الرحمن والرحيم: أن الرحمن يُلحظ فيه الصفة فيُقال الرحمن ذو الرحمة الواسعة ، وأن الرحيم يُلحظ فيه الفعل ، فيقال ذو الرحمة الواصلة فيرحم من يشاء .

وفي هذه الآية لطائف ، منها :

**اللطيفة الأولى** : جمع الله عز وجل بين هذين الاسمين الكريمين في آياتٍ أخرى فقال سبحانه كما في سورة البقرة ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾**[البقرة:163]**. وجمع بينهما أيضًا في سورة الفاتحة ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**[الفاتحة:3]**

وسبب الجمع بينهما أنه لما تسمى غير الله تعالى بالرحمن جيء بلفظ الرحيم؛ ليقطع سبحانه التوهم فإنه لا يوصف بالرحمن الرحيم إلا هو سبحانه.

وقيل: أنه سبحانه جمع بين الرحمن والرحيم للإنباء والإخبار عن رحمةٍ عاجلةٍ وآجلة وخاصةٍ وعامة وظاهرةٍ وباطنة وجليةٍ وخفية .

**اللطيفة الثانية** : الرحمن يُقابل الربوبية والرحيم يقابل الألوهية، فإن الله عز وجل في الآية قبلها قال "الحمد لله رب العالمين" فذكر الألوهية وذكر الربوبية ،

فالرحيمية تقابل الألوهية يعني من عبد الله تعالى واتخذه إلهًا ومعبودًا فهو حقيقٌ بالرحيمية أو باسم الله الرحيم ، ومن كان الله عز وجل ربه ، وهو سبحانه رب سائر المخلوقات والكائنات من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر ، وأنس وجن ، وآدمي وحيوان ، فإنه حقيقٌ بالرحمانية أو باسم الله الرحمن، ولهذا فالرحمن يقابل الربوبية والرحيم يقابل الألوهية.

**اللطيفة الثالثة** : الرحمن والرحيم أكثر الأسماء ورودًا في القرآن الكريم بعد لفظ الجلالة الله ، فالرحمن ورد في أكثر من خمسين موضعًا ، والرحيم ورد في أكثر من مئة موضع من القرآن الكريم .

وهذا يتسق مع ما جاء في القرآن أن رحمة الله تعالى وسعت كل شيء كما قال سبحانه ﴿...وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ...﴾**[الأعراف:156]** وكما قال جل وعلا ﴿... رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ...﴾[غافر:7] .

وهذا يتسق مع أن رحمة الله تعالى سبقت غضبه، فقد جاء في البخاري وغيره**(( أن الله تعالى لما خلق الخلق كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش أن رحمتي سبقت غضبي ))** وفي روايةٍ "غلبت غضبي".

**اللطيفة الرابعة** : الرحمن الرحيم وصفٌ للرب سبحانه بالرحمة ، ولهذا فكتاب الله عز وجل رحمة كما قال عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**[يونس:57]** .

ونبيه ﷺ رحمة، كما قال عز وجل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾**[الأنبياء:107]** .

والمطر رحمة كما قال عز وجل ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ...﴾**[الأعراف:57]**.

والجنة رحمةٌ كما قال عز وجل ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾**[آل عمران:107]** يعني في جنة الله.

**اللطيفة الخامسة** :قوله عز وجل "الرحمن الرحيم" فيه ترغيب، جاء بعد قوله "رب العالمين" وفيه ترهيبٌ، ليجمع سبحانه بين الرهبة منه والرغبة إليه، وهذا له نظائر كثيرة في القرآن، كما قال عز وجل ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾**[الحجر:49 - 50]]** .

وكما قال تعالى ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[غافر:3] .

وكما قال سبحانه ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[المائدة:98] .**

**اللطيفة السادسة :** قوله سبحانه ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**[الفاتحة:3]**  إشارة إلى أن القرآن نزل رحمةً للخلق، لهدايتهم ودلالتهم، وتعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم، وأشار الله عز وجل إلى هذا في قوله ﴿حم \* تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[فصلت:1- 2]

فلما ذكر الله عز وجل الرحمانية والرحيمية في أول سورة في القرآن، دلّ هذا على أن القرآن رحمة، وأنه نزل بالرحمة .

**اللطيفة السابعة :** قوله عز وجل ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**[الفاتحة:3]** لما ذكر الله عز وجل اتصافه بالرحمانية والرحيمية، فإن حظ العبد من وصف الله تعالى بالرحمانية والرحيمية أن يكون العبد رحيمًا بمن يستحق الرحمة، وحظه من رحمة الله تعالى بقدر ذلك، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ، والموفق من وفقه الله تعالى.

وأُشير لهذا المعنى في قوله صلى الله عليه وسلم: **(( إنما يرحم الله من عباده الرحماء))** . رواه البخاري .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: **((الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))** أخرجه ابو داوود والترمذي.

**اللطيفة الثامنة :** جاء وصف الربوبية في قوله "رب العالمين" المفيد للقدرة والقهر ، فناسب أن يورد وصف الرحمانية والرحيمية بعد ذلك، لينبسط أمل العبد في العفو إن زل، ويقوى رجاؤه إن هفا أو ضل.

**اللطيفة التاسعة :** قال عز وجل" ربّ العالمين"، ومن المعلوم أن المربوب مخلوقٌ ضعيفٌ وعاجزٌ محتاجٌ إلى الرحمة؛ فناسب أن يقول بعد ذلك:" الرحمن الرحيم" مذكرًا للعباد برحمانيته ورحيميته .

**اللطيفة العاشرة** : لما ذكر سبحانه ربوبيته" رب العالمين" ، والربوبية كما مر معنا هي التربية شيئًا فشيئًا حتى بلوغ التمام ، بين سبحانه أن ربوبيته لعباده قائمة على الرحمانية والرحيمية .

**اللطيفة الحادية عشرة** : الرحمة منها ظاهر ومنها باطن، ومنها جليٌّ وخفي، ومنها دقيقٌ وجليلٌ، فما قد يراه العبد منافٍ للرحمة، هو الرحمة بعينها .

ولهذا فالمرض والفقر وأنواع البلاء إنما هي رحمةٌ من الله تعالى للعبد، لأن الرب جل جلاله يمنع شيئًا ويعطي أشياء، ويحجب بابًا ويفتح أبوابًا، ويوصد طريقًا ليشرع طرقًا .

وإذا أراد العبد أن يفهم هذا فعليه أن يتأمل الآيات التي جمع الله فيها بين رحمته وحكمته ، كما في قوله تعالى:" ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم"

وكما في قوله :"ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم".

**اللطيفة الثانية عشرة** : قرن الله عز وجل بين استوائه على عرشه وبين اسمه الرحمن، قال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾**[طه:5] .**

وقال عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾**[الفرقان:59]** ، فكما أن العرش محيطٌ بالمخلوقات، فالرحمة تشمل جميع الكائنات.

**اللطيفة الثالثة عشرة** : إذا كان الخلق لا يستغنون عن رحمة الله تعالى طرفة عين، ولو رفع الله تعالى رحمته عن الخلق لهلكوا، فكذلك الخلق لا تنتظم علائقهم إلا بالرحمة فيما بينهم .

وتأمل أن الله عز وجل جعل العلاقة بين الوالد والولد قائمة على الرحمة كما جاء عن النبي ﷺ في البخاري وغيره لما رآه الأقرع بن حابس يقبل الحسن والحسين فقال إن لي عشرةً من الولد ما قبلت واحدًا منهم ، فقال عليه الصلاة والسلام: **((من لا يرحم لا يُرحم))** ،

وكذا أيضًا علاقة الولد بوالده قائمةٌ على الرحمة، كما قال عز وجل: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾**[الإسراء:24]** .

وعلاقة الزوجين قائمةٌ على الرحمة ، كما قال عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[الروم:21]**.

والناس جميعًا علاقتهم قائمة على الرحمة، وكما جاء في الصحيح: **((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))** ،

وعلاقة المعلم بطالبه أو تلميذه قائمةٌ على الرحمة ،كما قال عز وجل: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾**[الكهف:65]**

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .